

الجمع بين الشرع والواقع في الخطاب الدعوي لترسيخ الوسطية والاعتدال

د. إيناس محمد شلوف *

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة طرابلس، طرابلس، ليبيا

* البريد الإلكتروني (للباحث المرجعي): enasshallouf5@gmail.com

Combining Islamic Law and Contemporary Reality in Islamic Discourse to Reinforce Moderation and Balance

Dr. Enas Mohammed Shalouf *

Department of Arabic Language and Islamic Studies, Faculty of Education, University of Tripoli, Tripoli, Libya

Received: 08-05-2025; Accepted: 26-06-2025; Published: 10-07-2025

الملخص

الخطاب الدعوي هو وسيلة فعالة لنشر تعاليم ومبادئ وأفكار الشريعة الإسلامية الغراء، يخاطب العقل، ويرشد الحيران، ويعظ الجاهل، ويحث المتعلم، ويُذَكِّرُ بالله، ويرشد إلى طريق الهدى والنور، وهو تعبير حقيقي عن الرؤية الإسلامية الوسطية المعتدلة، بكافة مضامينها وأشكالها داخل الأمة الإسلامية بكل شرائحها وأقطارها.

وقد باتت الحاجة ماسة إلى تطوير الخطاب الدعوي والعمل على جعله يلامس الواقع ويواكب التطور والتغيير الحاصل في حياة المسلمين، بسبب المتغيرات والحوادث التي يعيشها المسلم، والتي تتسارع وتيرتها فتجعل ملائمة الخطاب ومواكبته حاجة ماسة، لأن الخطاب الدعوي المنفصل عن الواقع يظل شعارات وعبارات تسبح في فضاءات مجهولة، لا يُنتَفَعُ منها ولا يستفاد، وهذا الانفصال عن الواقع يؤدي إلى فتح أبواب شر ومنافذ فساد يستغلها ضعاف النفوس لنبدز الوسطية والاعتدال وزرع بذور التطرف والإفراط.

وإنَّ الجمع بين الشرع والواقع في الخطاب الدعوي أمر مهم، ليتحقق للخطاب كونه أداة للاتصال المعرفي والحضاري، وهذا يجعله يحقق دوره الفاعل في بناء المجتمع الإسلامي، ودوره كذلك في الدعوة إلى الإسلام وهداية البشرية، فالخطاب الدعوي المواكب للواقع يحتاجه المسلم، لأنه يُعَزِّزُ قوة انتماء المسلم لدينه وعظم تمسكه بشريعته شريعة الوسطية والاعتدال.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الدعوي، الشرع، الوسطية.

Abstract

Islamic preaching, is an effective means of spreading the teachings, principles, and ideas of the noble Islamic Sharia. It speaks to the intellect, guides the confused, admonishes the ignorant, urges the learner, reminds people of Allah, and directs them to the path of guidance and light. It is a genuine expression of moderate, balanced Islamic thought in all its forms and dimensions, addressing the entire Muslim community across its diverse segments and regions.

There is now an urgent need to develop Islamic preaching and ensure it remains relevant to reality, keeping pace with the changes and transformations in Muslims' lives. The rapid shifts and events affecting Muslims make it essential for preaching to adapt and stay aligned with the times. A preaching discourse detached from reality becomes little more than empty slogans floating in obscurity—offering no benefit or practical value. Such disconnection from reality opens doors to evil and creates opportunities for corruption, which those with weak morals exploit to reject moderation and sow the seeds of extremism and excess.

Balancing Sharia with real-world context in Islamic preaching is crucial. This ensures the discourse serves as a tool for intellectual and civilizational communication, enabling it to play an active role in building Islamic society and effectively calling people to Islam while guiding humanity. A relevant preaching discourse is vital for Muslims—it strengthens their connection to their faith and deepens their commitment to the Sharia, the path of balance and moderation.

Keywords: Islamic preaching discourse, Islamic law, Islamic moderation.

المقدمة

الخطاب الدعوي خطاب موغل في القدم ضارب بجذوره في أعماق التاريخ البشري، منذ إرسال أول الرسل إلى البشرية، وإلى أن ختم الله أولئك الرسل الأطهار بخير البرية سيدنا محمد _ صلى الله عليه وسلم _ . مارس الرسل الخطاب الدعوي من خلال أداء رسالاتهم التي كفهم بها رب العباد _ تبارك وتعالى _ ومارسه من جاء بعد أولئك الرسل الأطهار من الدعاة الأخيار إلى الله _ تبارك وتعالى _ الذين اهتموا بهدى الأنبياء، وساروا على دربهم مستضيئين بنور الله الذي حمله الرسل مشاعل لا تنطفئ، ولا يخبو نورها لأنه نور مستمد من رب البرية تبارك وتعالى.

وقد مرَّ الخطاب الدعوي بمراحل مختلفة باختلاف العهود والأزمان، وتتنوع وسائله وطرقه، وصار مؤخراً في عصرنا الحالي في أمس الحاجة لربطه بالواقع الذي يعيشه الناس، وهذا ما يجعله مؤثراً وفاعلاً وهادياً ومرشداً ومؤصلاً للوسطية والاعتدال وناظراً للتطرف والإفراط .

أهمية الدراسة

شهد العالم مؤخراً مظاهر العولمة، وشابته تغيرات كثيرة ليس المسلم بمنأى عنها، كيف يكون بمنأى عنها وهو يعيش ضمن منظومة عالمية جعلت العالم يبدو كقرية صغيرة، نالت تلك التغيرات من المفاهيم والأفكار، بعضها الصالح وبعضها الطالح، وليس ثمة ضرر من المفاهيم والأفكار الصالحة، لأن الصلاح هدف منشود وأمر مقصود، يسعى المسلم إلى تحصيله بشتى الوسائل المشروعة، لكن الضرر كل الضرر من الأفكار والمبادئ والقيم الطالحة التي تضرب الإنسانية، وتخالف الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها، والتي هي فطرة الإسلام والهدى واتباع أوامر الشرع الحنيف .

ولا شك في أن الخطاب الدعوي يحتاج إلى تفقد لمواطن الخلل أو القصور، كما يحتاج تجديدًا للوسائل والطرق حتى يكون ملائماً لحال المخاطبين وزمانهم ومكانهم وظروفهم، محققاً لهدفه، فاعلاً مفيداً ونافعاً.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة التي تهدف إلى:

1. بيان أهمية الخطاب الدعوي، وأنه ضرورة يحتاجها المسلم في كل زمان ومكان، لا غنى عنه لأنه يمد المسلم بحافز يشجعه على المضي قدماً في طريق الفلاح والنجاح، بما يوصله هذا الخطاب من رسائل تذكّر بالله وبضرورة اتباع شريعته في كل زمان ومكان.
2. التأكيد على ضرورة تجديد الخطاب الدعوي بما يتوافق مع متغيرات ومتطلبات وحاجات البشرية، وأن تتسم لغته وطرائقه بالوسطية بعيداً عن التطرف والتعصب والشذوذ الفكري.
3. نبذ التفوق والدعوة إلى الانفتاح على العالم المتغير، والتشجيع على تبني الأفكار الطيبة الهادفة التي توافق الشريعة الإسلامية، والتنبيه على خطورة اتباع الفتن التي تصدح بها حناجر أهل الباطل ممن يسعون إلى زيغ المسلمين ونكوصهم عن طريق الحق والهدى.
4. التأكيد على استرشاد الدعاة اليوم بالسيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، لأنه خير قدوة ومثل لكل داعية في كل عصر ومصر.

خطة البحث:

جاءت هذه الدراسة مقسمة إلى مقدمة وخمسة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول _ شرح مصطلحات العنوان.

المطلب الثاني _ ملائمة الشريعة الإسلامية للواقع المتغير.

المطلب الثالث _ أسس الخطاب الدعوي.

المطلب الرابع _ أصناف المدعويين.

المطلب الخامس _ بعض سمات الخطاب الدعوي الفعال.

المطلب الأول _ شرح مصطلحات العنوان

أولاً- تعريف الشرع في اللغة: جاء في اللسان: شَرَعَ الْوَاردُ يَشْرَعُ شَرْعاً وَشُرُوعاً: تناول الماءَ بِفِيهِ، وَمَشْرَعُهُ الماءُ هي موردُ الشارِبَةِ التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، والعرب لا تسميها شريعةً حتى يكون الماءُ عِدّاً لا انقطاع له، ويكون ظاهراً مَعِيناً لا يُسْقَى بِالرِّشَاءِ (ابن منظور، 2005م، لسان العرب، 59/8).

في الاصطلاح: الشرعُ هو ما أظهره الله _ تعالى _ لعباده من الأحكام، والشريعة الإسلامية هي : ما سنَّه الله _ تعالى _ لعباده من الأحكام و أنزله على نبيينا محمد _ صلى الله عليه وسلم _ وجعله خاتمة لرسالاته (الأصفهاني، 2006م، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص194).

وسُميت تلك الأحكام شريعةً لاستقامتها ولشبهها بمورد الماء، إذ بها تحيا النفوس والعقول كما تحيا الأبدان بالماء .

ثانياً _ تعريف الواقع :

في اللغة : الواقع مشتق من الفعل الثلاثي وَقَعَ، يَقَعُ، وَقَعاً ووقوعاً، ويعني : السقوط، وإنزال الشيء على الشيء، وهذا ما يفيد في الكلام حقيقة، كأن تقول : وقع الطير على أرض أو شجر، أو وقع المطر على الأرض، أو وقعت الدواب، أي: ربضت على الأرض (ابن منظور، 2005م، لسان العرب، 260/15) . أما في الاستخدام المجازي فوقع الشيء أي : حصل وثبت، كقولنا : وقع الحق، أي : ثبت، ووقع القول : حصل مُتَضَمِّنُهُ، ومنه قوله _ تعالى _ ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ ٨٥ النمل، أي: وجب العذاب الذي وَعِدُوا لظلمهم (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 234/13) . ومن هنا فمفردة الواقع ضمن هذا السياق المجازي تعني : الحاصل والنازل، ومنها كلمة الواقعة، أي : النازلة، ووقائع أي : نوازل .

والواقعة لا تقال إلا في الشدة والمكروه، وقد عُرِفَت الوقائع عند العرب بـ(أيام العرب)، ودلَّت الواقعة على النازلة من صنوف الدهر، وبهذا سَمَّى القرآن يوم القيامة بالواقعة في قول الله تعالى : ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ﴾ سُورَةُ الْوَاقِعَةِ، أي : قامت القيامة، وسميت واقعة لأنها تقع عن قرب، وقيل : لكثرة ما يقع فيها من الشدائد (الأصفهاني، 2006م، معجم مفردات القرآن، ص411) .

ويمكن تعريف الواقع بأنه ما يحيط بالإنسان والجماعة من حال ومجال وعصر، ويؤثر فيهما ضمن زمن متحرك، فهو : حال الإنسان والجماعة بما يحملانه من قيم وأفكار وطبائع وخصائص وسمات، ضمن مجالات يحياها كل منهما ويعيشانها، من اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية، وفق المرحلة التاريخية العامة التي تمر بها المجتمعات بسماتها المختلفة، وهو ما نطلق عليه العصر .

ثالثاً _ تعريف الخطاب

في اللغة : الخطاب هو مراجعة الكلام، يقال : خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً (ابن منظور، 2005م، لسان العرب، 2/112) .

في الاصطلاح : كلام شفهي أو مكتوب ذو مضمون معين يكون من المتحدث أو الكاتب إلى فرد أو جماعة بغرض إقناعهم أو استمالتهم، ويتوقع أن يحدث هذا الكلام رد فعل عند المخاطبين به .

رابعاً _ تعريف الدعوة

في اللغة : هي المرة الواحدة من الدعاء، ووردت الدعوة في قواميس اللغة بعدة معانٍ منها :

- 1.. الرغبة إلى الله، يقال : دعا ربه دعاء (ابن منظور، 2005م، لسان العرب، 266/5) .
- 2.. الاستغاثة : قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأَنذَرْتُكُمْ يَوْمَ بَعْثِ رَسُولٍ مِثْلِهِ مَفْتَوتٍ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝١٣﴾ سُورَةُ هُودِ
- أي : استغيثوا بمن شئتم من الكهنة والأعوان (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 12/9) .
- 3.. الحث على الشيء : يقال دعاه إلى الله، أي : إلى عبادته، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ سُورَةُ فَصِّلَتْ .

ويقال : رجل داعية، أي يدعو الناس إلى فكرة أو دين، والنبي داعي الله، قال تعالى : ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ - وَسِرَاجًا مُنِيرًا ٤٦ ﴾ سورة الأحزاب.

في الاصطلاح : يطلق لفظ الدعوة اصطلاحاً على رسالة الإسلام، ولم أجد تعريفاً دقيقاً لمصطلح الدعوة الإسلامية عند علماء السلف، وكل التعريفات التي وردت في الكتب الدعوية هي لدعاة معاصرين . ومن تلك التعريفات المعاصرة الدقيقة : الدعوة هي : قيام مَنْ له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان، لاقتفاء أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكاً (صديق، 2002م، الدعوة إلى الله، ص 60) .

والخطاب الدعوي كل وسيلة مشروعة يتبعها الداعية لتبليغ الإسلام للناس كافة، على بصيرة، ويسهم في بناء أمة الإسلام في جميع ميادين الحياة، بعيداً عن الهوى والتعصب المذهبي (خالد، 2006م، تطوير الخطاب الدعوي ، ص 5) .

وهو كذلك : بيان الدعوة الهادف إلى تفهيم الناس دعوة الله _ عز وجل _ . وما أجمل ما وصف به الشيخ الغزالي _ رحمه الله _ الدعوة بقوله: إنها برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين (الغزالي، 2003م، مع الله، ص 13) .

و لفظ الدعوة يشمل الدعوة إلى الخير وإلى الشر على حد سواء (هنيدي، 2010م، فن التواصل الدعوي، ص 17)، ويتناول هذا البحث الدعوة إلى الخير .

خامساً _ تعريف الوسطية

في اللغة: ورد في لسان العرب : وَسَطُ الشيء : ما بين طرفيه، وأوسط الشيء : أفضله وخياره، كوسط المرعى خير من طرفيه، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها لتمكين الراكب (ابن منظور، 2005م، لسان العرب، 208/15) .

الوسطية في الاصطلاح : هي التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيّف عليه (الجوزية، 1985م، إعلام الموقعين، ص 24) .

فالوسطية هي حالة محمودة تعصم الفرد من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط، أو هي التوازن والتعادل بين الطرفين، بحيث لا يطغى طرف على آخر، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وإنما اتباع للأفضل والأعدل والأجود والأكمل .

سادساً _ تعريف الاعتدال

في اللغة: الاعتدال من العدل وهو ما قام في النفوس أنه مستقيم، والاعتدال : توسط حال بين حالين في كم أو كيف (ابن منظور، 2005م، لسان العرب، 61/10) .

في الاصطلاح: الاعتدال اصطلاحاً يتفق ومعنى الاستقامة والاستواء والتوسط بين حالين، بين مجاوزة الحد المطلوب والقصور عنه، وهو أفضل طريقة يتبعها المؤمن من أجل تأدية واجباته نحو ربه، ونحو نفسه .

المطلب الثاني _ ملائمة الشريعة الإسلامية للواقع المتغير

إنَّ من أهم ما يميز الشريعة الإسلامية أنها مهيمنة على ما سبقها، ناسخة لكل ما عداها من الشرائع السماوية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ٨٥﴾ سورة آل عمران.

وهذا ما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان، لها ثوابت لا تتغير بتغير الإنسان أو الزمان أو المكان، وهذه الثوابت تتمثل في : العقائد والعبادات والأحكام القطعية في ثبوتها ودلالاتها، أما غير الثوابت ففيها مجال لاجتهاد العلماء والفقهاء ليخرجوا بأحكام لحوادث ووقائع معاصرة ، وهذا أكبر دليل على ملائمة الواقع المتغير، وعلى أن الشريعة بريئة من الجمود الذي ينعتها به أعداؤها في الشرق والغرب .

ومما يدل على أن الشريعة تواكب الواقع المتغير وتمده بما يحتاج إليه من أحكام، أن خطاب القرآن الكريم في مكة (أي قبل الهجرة إلى المدينة) غير خطابه بعد الهجرة، فقد اتسمت آيات القرآن الكريم المكية بأن موضوعاتها تدور أساساً حول ترسيخ العقيدة الإسلامية النقية، من توحيد وإثبات للنبوة، والجزاء الأخروي وغير ذلك، بينما دارت موضوعات القرآن المدني حول إقامة المجتمع المؤمن، والتأسيس لكل ما يحتاجه من عبادات ومعاملات وتشريعات وعقوبات .

كما أن أسلوب القرآن الكريم في مكة غير أسلوبه في المدينة، ففي مكة غلبت عليه الشدة والنبوة السريعة، يثير المشاعر ويغلبه المكابر ويُفجّم المعارض، بخلاف المدني الذي اتسم بالأسلوب التعليمي التشريعي الهادئ النبوة، الذي يخاطب العقل أولاً ولا يخلو من مخاطبة القلب، لأنه يُشرّع ويُعلّم (الزركشي، 2007م، البحر المحيط في أصول الفقه، 1/ 199) .

المطلب الثالث _ أسس الخطاب الدعوي

يقوم الخطاب الدعوي على أساسين يرتبطان ارتباطاً وثيقاً، ويتلازمان تلازماً كبيراً هما :

أولاً_ مصادر التشريع الإسلامي : وتتمثل في:

1. القرآن الكريم : وهو القرآن المنزل على سيدنا محمد _ صلى الله عليه وسلم_، وهو ما نُقِلَ إلينا بين دفتي المصحف بالأحرف السبعة نقلاً متواتراً (الأمدي، 2008م، الإحكام في أصول الأحكام، ص 110). فالقرآن الكريم هو كلام الله _ عز وجل_ وهو الأصل المقطوع به عند جميع المسلمين، والمصدر الأول للتشريع كما يقول الأصوليون، قال _ تعالى_ : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ٩ ﴾ سورة الإسراء.

2. السنة النبوية : وهي كل ما صدر عن الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ من قول أو فعل أو تقرير، وهي المصدر الثاني للتشريع، والاستدلال بها كالاستدلال بالقرآن تماماً، لا فرق بينهما من ناحية الاحتجاج،

قال - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ سورة النساء .

ويكون الرد بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - باتباع سنته الصحيحة من بعده، وهنا ينبغي التحذير من حملات التشكيك في السنة النبوية المطهرة، تلك الحملات التي ظهرت مؤخراً على أيدي أناس من بني جلدتنا يتكلمون بلساننا ويقولون بهتاناً وزوراً، ومنهم أولئك القائمين على ما يسمى مركز تكوين الذي يحارب السنة النبوية الشريفة بالتشكيك فيها والتقليل من قدرها والدعوة إلى التمسك بنصوص القرآن فقط .

3. الإجماع: وهو إجماع الصحابة - رضوان الله عليهم جميعاً - وهو حجة بانفاق، لأنه قامت الأدلة القطعية على حجتيه، والخلاف وقع في حجية من بعدهم، وهو الإجماع الوحيد الذي لم يختلف فيه الأصوليون (عبد الكريم، 1995م، المصالح المرسله، ص23) .

4. القياس : وهو حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما، أو نفيه عنهما، بأمر جامع بينهما، من حكم أو صفة (الشوكاني، 2008م ، إرشاد الفحول، 577/2) .

وهذه هي المصادر المتفق عليها عند جمهور العلماء، بالإضافة إلى مصادر أخرى اختلف فيها العلماء، مثل المصالح المرسله والاستحسان وسد الذرائع وغيرها .

ثانياً - اللغة العربية :

وهي لغة القرآن الكريم التي اختارها الحق - تبارك وتعالى - لما فيها من مزايا تميزها عن غيرها من اللغات، قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٢﴾ سورة يوسف .
واللغة العربية أساس جوهري في إعجاز القرآن، ولا يكون القرآن قرآناً إلا بها .

فلا بد للداعية أن يعرف شيئاً غير يسير من فنون اللغة العربية، لأنه يترجم بها الأفكار التي يحاول توصيلها للناس، فإذا أتقنها وتمكن منها امتلك سلاحاً فعالاً في مجال الدعوة .

المطلب الرابع - أصناف المدعويين

يستهدف الخطاب الدعوي الناس جميعاً، وهؤلاء الناس أصناف وأنواع، ولكل صنف منهم دعوة تناسبه، وهذه حالات المدعويين وما يناسبهم من أسلوب الدعوة :

1. إذا كان المدعو غير مؤمن بالله وغير متبع لدين الإسلام، فإنَّ المناسب له أن يُدعى إلى الدخول في دين الإسلام ابتداءً .

2. إذا كان المدعو مؤمناً بالله غير مسلم، فإنَّ المناسب له أن يُدعى إلى الالتزام بالإسلام، عبادات ومعاملات وأخلاق .

3. إذا كان المدعو مؤمناً مسلماً، ولكنه يقارِف بعض المعاصي، فإنَّ المناسب له أن يُدعى إلى الطاعة ويُرغَّب في النوافل وكثرة الاستغفار والدعاء .

4. إذا كان المدعو مؤمناً مسلماً ملتزماً طائعاً، ولكنه يفهم التدين على أنه عمل شخصي بينه وبين الله، وأنه غير مطالب بالعمل الجماعي، فإنَّ المناسب له من الدعوة أن يعرف أن العمل لخدمة الإسلام يجب

ان يكون فردياً في أحيان قليلة، وجماعياً في معظم الأحيان، لأن ما تقدر عليه الجماعة لا يقدر عليه الفرد، ولأن الله سبحانه خاطب المؤمنين خطاب الجماعة لا خطاب الفرد الواحد .

5. إذا كان المدعو مؤمناً مسلماً ملتزماً غير عاصٍ وغير مقتنع بأن التدين عمل شخصي، ولكنه يؤثر الاستكانة ويُفَضِّل القعود ويخاف مغبة العمل من أجل الإسلام، بسبب الظروف التي تُدين العمل للإسلام، وتخلط بينه وبين التطرف أو التشدد، فإنَّ المناسب له من الدعوة أن يُبَصِّرَ بفرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وأنَّ يُعرِّفَ بحقيقة لا شك فيها وهي الواردة في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ٥١﴾ سورة التَّوْبَةِ.

6. إذا توفرت فيه كل الشروط السابقة، إلا أنه يرى الجهاد في سبيل الله لا يُمارَس إلا بعد قيام الدولة الإسلامية التي تحكم بشرع الله، فإنَّ المناسب له أن يُدعى إلى التفقه في الدين، واعتبار أن الإعداد للجهاد بمثابة الجهاد نفسه، لأنه لا يتمُّ إلا به، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب .

كما ينبغي أن يُنبَّه إلى أن الدولة الإسلامية لن تقوم بمجرد الدعوات والأمانى، بل لابد من عمل واستعداد وتضحيات، وكل هذا جهاد لأن الجهاد لا يتمُّ إلا به، و المولى _ تبارك وتعالى _ طالبنا به حتى بعد قيام الدولة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ غَفِيْرٌ أَلْمُورِ ٤١﴾ سورة الْحَجِّ.

7. إذا استوفى المدعو كل ما سبق بما فيه الجهاد في سبيل الله والإعداد والاستعداد له، ولكنه لا يتطلع إلى أن يكون الدين كله لله، ولا أن يكون الناس مع دين الحق، وإنما يكتفي بأن يعيش المسلمون في أمن مع أعدائهم، مادام المسلمون قد أعدوا لهم من أسباب القوة ما استطاعوا لينازلوهم عند اللزوم، فإنَّ المناسب من الدعوة لهذا المدعو أن يُفَقِّه أنَّ المسلمين مطالبون بالجهاد في سبيل الله إلى أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، (محمود، 2012م، المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، ص 168) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٣٣﴾ سورة التَّوْبَةِ.

المطلب الخامس _ بعض سمات الخطاب الدعوي الفعال

ينبغي للخطاب الدعوي كي يحقق الأهداف المرجوة منه، بخاصة في زمننا هذا أن تتوفر فيه السمات التالية:

1. ضبط مرجعيته : وذلك بأن يكون قائماً على العلم الشرعي، ومنطلقاً من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومستخدماً لتعبيراتها ما أمكن، ومتخلفاً بأدابها على الدوام، مستمسكاً بتوجيه الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾ سورة النَّحْلِ.

وينبغي للداعية وهو يستدلّ بآيات القرآن الكريم الاعتناء بما يلي :

أ. حسن الاستدلال بالآيات الكريمة على ما يريد تقريره، أو تثبيته من أحكام وتعاليم وأفكار، فإنه إذا أحسن الاستدلال بالنص القرآني، ووضعه في موضعه، أراح كل شبهة، وقطع كل تعلّة، وأخرس كل معارض، فلا دليل بعد القرآن، ولا حديث بعد كلام الله، قال الحق _ تبارك وتعالى _ : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢ ﴾ سورة النساء .

رُوي أَنَّ رجلاً أُدْخِلَ على المأمون، كان يمشي في الناس فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، دون أن يكون مأموراً من قبل الخليفة، فقال له المأمون: لِمَ تأمر وتنهى، وقد جعل الله ذلك إلينا، ونحن الذين قال الله تعالى فينا : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِزَّةُ الْأُمُورِ ۝٤١ ﴾ سورة الحج ؟ فقال الرجل : صدقت يا أمير المؤمنين، أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن، غير أننا أولياؤك وأعوانك فيه _ ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم _ قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١ ﴾ سورة التوبة، وقال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً (رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، ر.ح: 2446، ص331) فأعجب المأمون بكلامه، وسرَّ به، وقال : مثلك يجوز أن يأمر بالمعروف، فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا (الغزالي، 2005م، إحياء علوم الدين، 317/2) .

وهكذا حين أحسن الرجل الاستشهاد بالقرآن والسنة، انقطعت حجة الخليفة، ولم يجد بُدّاً من إقرار الرجل على فعله (القرضاوي، 2010م، ثقافة الداعية، ص34) .

ب. الحذر من سوء التأويل وتحريف الكلم عن مواضعه : يجب على الداعية أن يحذر ويحذر من الانحراف والتحريف وسوء التأويل للآيات الكريمة، وحملها على معان تُخرجها عما أراد الله بها، وهذا نوع من التحريف الذي ذمَّ الله عليه أهل الكتاب، فقد حرّفوا كتبهم لفظياً بالزيادة والنقصان، ومعنوياً بسوء التأويل .

والناظر في حال أمة الإسلام اليوم يرى من يقوم بذلك ممن يروجون لما يعرف بعلوم الطاقة، فيحرفون الكلم بسوء التأويل ويخرجون النص عن معناه الأصلي، ليأخذوا متبعيهم نحو هاوية لا قرار لها.

ج. الإعراض عن الإسرائيليات : وقد بدأ تسرب الإسرائيليات في ميدان التفسير منذ عهد مبكر، أي من عهد الصحابة والتابعين على أيدي أمثال : كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما ممن دخل في الإسلام من أهل الكتاب، وكذلك ما وصل إلى المسلمين من كتب اليهود والنصارى .

وكان التسرب في أول الأمر قليلاً ثم كثر، ضيقاً ثم اتسع، عفواً ثم بدأ يأخذ صفة الكيد والتدبير والدس المتعمد، وكان اليهودية حين مُنيّت أمام دعوة الإسلام بالهزيمة العسكرية، في المدينة وخيبر وغيرهما، أرادت

أن تستعمل سلاح الغزو الثقافي فدست إسرائيلياتها المنكرة، في غفلة من الزمن، ولم تمض برهة حتى امتلأت بها كتب المسلمين .

وينبغي على الداعية وهو يستدل بالأحاديث النبوية الشريفة مراعاة ما يلي :

أ. الحذر من الروايات الموضوعة والضعيفة : وإذا كان على الداعية أن يحذر من الإسرائيليات التي عكرت بسمومها صفاء التفسير، فإنّ عليه كذلك أن يحذر من الروايات الموضوعة والضعيفة التي عجّت بها كتب التفسير .

سواء من ذلك ما كان مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وما كان موقوفاً على بعض الصحابة، مثل: علي وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم وأرضاهم، وما كان منسوباً إلى بعض التابعين مثل : مجاهد وعكرمة والحسن وابن جبير وغيرهم، أو منسوباً إلى من بعدهم من أهل العلم .

وكان مثل ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن جرير الطبري، يجمعون في تفاسيرهم الصحيح والحسن، والضعيف والمنكر، بل الموضوع أحياناً من الأحاديث المرفوعة والروايات الموقوفة والمقطوعة (الذهبي، 1985م، التفسير والمفسرون، 77/1).

وكان عذر المتقدمين في سياق الروايات أنهم يذكرونها بأسانيدها، معتقدين أنهم بذلك قد برئوا من عهدها بذكر سندها .

وكان العلماء في عصرهم يقدرّون على تتبع الأسانيد ونقدها، ومعرفة حال رجالها، ولهذا لم يكونوا _ في أغلب الأحيان _ يعقبون عليها بتصحيح أو تضعيف،

ثم جاء من بعدهم فنقل عنهم هذه الأقوال والروايات بعد حذف أسانيدها، فظنّها من ظنّها من المتأخرين ثابتة، وهي غير ثابتة، وهذا ما أوقع كثيراً من المعاصرين في الخطأ، حيث يكتفون بنقل الرواية عن الطبري والزمخشري والنسفي والرازي والخازن وغيرهم، وكأنّ مجرد هذه النسبة تغنيهم عن البحث في قيمة الروايات، ومقدار ثبوتها، ومدى قوة أسانيدها .

ونورد هنا مثلاً لذلك قصة زينب بنت جحش وزوجها الأول زيد بن حارثة، وما جاء في شأنها في سورة الأحزاب، وعتاب الله لرسوله في هذا الشأن، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ لِلْكِ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ٣٧﴾ سورة الأحزاب .

فقد جعلت الروايات من سبب نزول هذه الآية قصة حب عاطفي تخيله متخيل أو افتراه مفتر، زعم أنّ زينب ظهرت للنبي صلى الله عليه وسلم يوماً بعد زواجها من زيد، فأراها فتعلّق قلبه بها، ورجع وهو يردّد : سبحان مقلب القلوب ! ولكنه كتم هذا الحب ... الخ حتى نزلت الآية .

وهذا الهراء لا دليل في الآية عليه، ولم تصحَّ به رواية، ومع هذا تعلّق به المستشرقون والمبشرون، واتخذوا منه وسيلة حاولوا الطعن بها في سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، وحجتهم في ذلك أنّ القصة منقولة في بعض أمهات كتب التفسير .

ب. اتخاذ الموقف السليم والمناسب من الأحاديث الضعيفة، فبعض الدعاة يستدل بالحديث الضعيف مستنداً إلى ما اشتهر من أنّ الحديث الضعيف تجوز روايته في فضائل الأعمال والقصص والترغيب والترهيب . وفي هذا المجال يجب أن يعلم الداعية أموراً منها :

أولاً: أنّ هذا الرأي غير متفق عليه، فهناك من الأئمة المعترين من رفض الأخذ بالضعيف في كل مجال، سواء فضائل الأعمال أو غيرها، وهو مذهب يحيى بن معين وجماعة من الأئمة، والظاهر أنه مذهب الإمام البخاري الذي دقّق أبلغ التدقيق في شرائط قبول الحديث، والإمام مسلم الذي شنّع في مقدمة صحيحه على رواة الأحاديث الضعيفة والمنكرة، وتركهم الأخبار الصحيحة، وهو الذي مال إليه القاضي أبو بكر بن العربي رأس المالكية في عصره، وأبو شامة رأس الشافعية في عصره أيضاً، وهو مذهب ابن حزم وغيره.

ثانياً : أنه إذا وُجِدَ في الصحيح والحسن ما يتضمّن المعنى المراد تعليمه أو التذكير به، فلم يلجأ الداعية إلى الضعيف والواهي ؟ ولما يوجد معنى ديني أو خلقي لا يوجد في الصحاح والحسان ما يُستدل به عليه، لكنّ الجهل أو قصور الهمم جعل الناس يستسهلون رواية الضعيف .

ثالثاً : أنّ الحديث الضعيف لا يجوز أن يضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة الجزم، وإذا أراد الداعية رواية الضعيف بغير إسناد، فلا يقل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، وما أشبهه من صيغ الجزم، بل ينبغي أن يقول : روي عنه كذا، أو ورد عنه كذا، وما أشبهها من صيغ التمريض كروي بعضهم (السيوطي، 1431هـ، تدريب الراوي، 1/297) .

ج. أن يكون الداعية على بينة من حملات التشكيك في الأحاديث الصحاح، وقد حاولت مؤخراً بعض الأصوات السقيمة أن تطعن في السنة الصحيحة، وتشكك في دواوين السنة الأصلية كصحيحي البخاري ومسلم، ومنه ما حاول القائمون على ما يسمى " مركز تكوين"¹ من طعن وتشكيك في السنة الصحيحة .

د. الحذر من المصادر والمراجع الشيعية سواء منها ما كان كتباً أو مواقع الكترونية ، وقد كثرت مؤخراً المواقع الإلكترونية التي تعج بعشرات المراجع الشيعية التي قد يتوهم الداعية أنها كتب صحاح معتمدة، فينهل منها ويستدل بما يظنه أحاديث صحيحة، ولا يتبين له الأمر إلا إذا تم تنبيهه من قبل عالم أو متخصص، وأحياناً لا يتقطن لخلل استدلاله ولسوء استشهاده فتستمر المعلومة الخاطئة تنتقلها الأقاليم وترسخ في الأفهام وتُضِلُّ الأنام .

2. وضوح الخطاب وعدم تعقيده أو التقعّر في عباراته وألفاظه : ويتحقق وضوح الخطاب باختيار الألفاظ السهلة، القدرة على نقل المعنى إلى السامع دون كدٍّ أو صعوبة، فلا ينتعر الداعية في كلامه أو يتكلّف،

¹ مركز تكوين : اطلق يوم 4 مايو 2024م في المتحف المصري بالقاهرة وقد نادى بصوت بوجوب تدخل الأزهر الشريف لإغلاق هذا المركز.

لأن ذلك مما نُهينا عنه شرعاً، وهذا الوضوح سمة من سمات القرآن العظيم، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝١٧ ﴾ سُورَةُ الْقَمَرِ .

فينبغي للداعية أن يلتزم بالوضوح في خطابه، ويتجنب التعقيد الذي يجعل المدعو في حيرة من أمره، فهو يستمع إلى مسألة ما يطرحها الداعية، ولا يكاد ذلك المدعو يفهم شيئاً بسبب الخطاب المعقد وغير الواضح في عباراته، وهذا يؤدي في كثير من الأحيان إلى انصراف الناس عن داعية بعينه وهجر مجلسه، ذلك لأنَّ الناس يُقبلون على الدعاة ليسمعوا منهم ويستفيدوا ويطبقوا، فإذا عجزوا عن فهم الداعية لتعقيد خطابه فإنَّ النتيجة المتوقعة هي إعراضهم عنه، وبهذا يُحرمون فوائد جمّة بسبب الإعراض عن هذا المجلس، وكم من دعاة عُرفوا بأهمية الموضوعات التي يتناولونها في دروسهم ومحاضراتهم، لكنهم وبسبب تعقيد ألفاظ خطابهم اضطروا الناس إلى هجر مجالسهم، فقلَّت فرص الاستفادة من تلك الدروس أو المحاضرات أو الحلقات .

3. تنوع الخطاب وملائمته لكل الناس : من المعلوم أنَّ رسالة الإسلام رسالة عالمية، جاءت لكل الأجناس والألوان والبلاد، قال _ تعالى _ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٨ ﴾ سُورَةُ سَبَأٍ .

لذلك ينبغي أن يكون الخطاب الدعوي مناسباً، يخاطب كل الأعمار والمستويات، كباراً و صغاراً، رجالاً ونساءً، متقنين وعواماً، طلبة علم وعلماء، شاملاً لكل القضايا والموضوعات التي يطرحها .

4. شمولية الخطاب : أي أن يدعو إلى الإسلام كله بشموليته، لا يترك شيئاً منه ضمن فقه الأولويات، وهذا ما أوصى به النبي _ صلى الله عليه وسلم _ معاذاً رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن فقال : " إنك تَقْدُمُ على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ماتدعوهم إليه أن يوحّدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلّوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنّيتهم فتُرَدُّ على فقيرهم، فإذا أقرّوا بذلك فخذ منهم، وتوقّ كرائم أموال الناس" (رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ر.ح: 7372، ص1012).

فالخطاب الدعوي الفعال هو الذي يهتم ببناء العقيدة السليمة، وينطلق بها لبيان الأحكام المختلفة، فتكون العقيدة بمثابة القاعدة العريضة التي ينطلق منها في جميع الاتجاهات، فالداعية الناجح هو الذي يتحدث عن أسس العقيدة الإسلامية السليمة ثم يوجه خطابه إلى المدرس والطبيب والعامل وكل الفئات، فيحثهم على الإحسان والإتقان في أعمالهم التي يقومون بها في المجتمع، فتتعاكس العقيدة الراسخة التي بناها على جميع مجالات حياة أولئك الناس، ليترجم الخوف من الله تعالى وخشيته ومراقبته، سلوكاً عملياً يجدون أثره في حياتهم وقبل مماتهم .

5. واقعية الخطاب ومراعاته للحال : إنَّ من أهم عوامل نجاح الخطاب الدعوي هو واقعيته ومراعاته لحاجات الناس، فالداعية الذي يعيش في مجتمعنا اليوم ينبغي أن ينتقي في دروسه ومحاضراته من الموضوعات ما يستقيه من الواقع الذي يعيشه هذا المجتمع، فإذا أراد أن يتكلم عن المرأة مثلاً، فينبغي لنجاح

هذا الموضوع ولضمان التأثير الإيجابي وإتيان الأكل أن يبدأ بالتأصيل الشرعي لحقوق المرأة من خلال عرض نصوص الشرع المختلفة، ولا يكتفي بذلك بل يشير في حديثه إلى محاولات التغريب وطمس الهوية الإسلامية التي تتعرض لها المرأة المسلمة في هذا المجتمع، ويبين مخاطر تلك الحملات الفكرية الباطلة ومغبة السكوت عنها، وعاقبة من يقف موقفاً سلبياً منها، ثم يعرض حلولاً عملية لهذه المشكلة باقتراح التدابير اللازمة لدفع هذا الضرر ودرء تلك المفاسد .

كذلك مما ينبغي أن يهتم الداعية بطرحه وخاصة مما يتعلق بموضوعات تخص المرأة، ما انتشر على مواقع ووسائل التواصل الاجتماعي مؤخراً من مفاصد ما يسمى العلاج بالطاقة، وهي طقوس شركية ألّبت ثوب الدين ودعوى التقرب إلى الله، وقد انتشرت في بلادنا ليبيا وكثير من بلاد المسلمين وغير المسلمين مؤخراً مراكز وعيادات متخصصة في الطب البديل تُمارس فيها مخالقات لا حصر لها، ثبت تردد كثير من النساء عليها سعياً في الاستشفاء المزعوم أو طلباً لتغيير حال أو تعرفاً على وسائل مزعومة لكسب المال وما شابه من خزعبلات _ أغلبها مأخوذة من ثقافات وديانات شرق آسيا وغيرها من الهندوسية والبوذية _ أقيمت عليها النساء مؤخراً، وهي في حقيقتها مضادة ومنافية لما جاء به الشرع الحنيف، مثل هذه المواضيع ينبغي أن تأخذ نصيباً ليس باليسير من وقت الداعية الذي يخصصه لمخاطبة الناس في أمور تهمهم في دينهم ودنياهم .

ومثل هذه المواضيع تمثل حاجات معرفية للإنسان، لأنها تتعلق بالعقيدة والسلوك في آن واحد، والناظر في أحوال بعض مجتمعات الإسلام التي انتشرت فيها تلك الممارسات الشركية من طقوس لليوغا وغيره يدرك أهمية أن يتناول الداعية تلك المواضيع، وقيمها بمقياس الشرع حتى يتفطن الناس إلى أنهم بجريهم وراء تلك الممارسات يخسرون دينهم ودنياهم، وأي موضوع أهم من التنبيه إلى مخاطر الممارسات الشركية التي تضرب الدين، وتتأفي الهدف والمقصد الإلهي العظيم من خلق البشر ألا وهو توحيد الله تعالى وإقامة الشعائر التي جاء بها الشرع الحنيف، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ سورة الذاريات وللدعاة في رسول الله أسوة حسنة كما قال الحق _ تبارك وتعالى _ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ٢١﴾ سورة الأحزاب

والتأسي به _ صلوات ربي وسلامه عليه _ يكون كذلك في أسلوبه في الدعوة فقد كان خطابه الدعوي مواكباً للواقع، يدرك المشاكل التي يعيشها الناس، ويقدم الحلول المناسبة التي تحقق الطمأنينة والراحة، ذلك لأنَّ النبي _ صلى الله عليه وسلم _ كلن يعيش قريباً من الناس، يشكو إليه الكبير والصغير، الرجال والنساء، يبتون إليه همومهم، ويجيبهم ويعظمهم بما يناسب من أحوالهم المختلفة، فيتحقق الهدف ويؤتي الخطاب أكله. روى البخاري عن عبد الله بن عباس _ رضي الله عنها _ قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شباباً لا نجد شيئاً، فقال لنا رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء " . (رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب من لم يستطع الباءة فليصم، ص727).

فينبغي على الداعية أن يعتني بالمدعويين ويتلمس احتياجاتهم، ويخاطبهم بلسان صادر من قلب مشفق وعقل ناصح، فإن ما يصدر من القلب يصل إلى القلب، والكلمات الصادقة المعبرة تلقى عظيم الأثر وخير الاستجابة.

6. مراعاته للزمان والمكان : وذلك لأن الإنسان ليس واحداً في كل زمان، من حيث المؤثرات النفسية والفكرية والثقافية، حيث إن لكل عصر ثقافته التي تتسحب على نمط الحياة عموماً، فإن من الضرورة اتباع أساليب التدرج في إيصال الفكرة، والمرحلية في تطبيقها .

كما ينبغي أن يراعي المكان فما يقال في قرية منعزلة غير ما يقال في المدن المتحضرة من حيث معالجة القضايا المختلفة، لأن قضايا وشؤون الناس في قرية صغيرة منعزلة يختلف بلا شك مع قضايا وشؤون المدن الكبيرة، وإن كانت هناك قواسم مشتركة بلا شك في بعض الأساسات والجوهريات .

والداعية قد يكون في غير بلده، وقد يكون هذا البلد مختلفاً عن بلده الأم من حيث العادات والتقاليد واللغة والنفسية، فعليه أن يدرس البيئة التي يعيش فيها، ويعرف أوضاعها، ويتعمق في فهم مشكلاتها ونفسيات أهلها وما يؤثر فيهم، كما عليه أن يعرف لغتهم ليكلمهم بلسانهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ سورة إبراهيم

7. إيجابية الخطاب وبناءه على حسن الظن بالناس : وذلك بتغليب الأمل والتفاؤل والرجاء على التئيس وسوء الظن، وتجنب الحكم على الناس بالضلال والكفر وتضخيم أخطائهم .

فالخطاب الدعوي الفعال هو الذي يبيث الأمل ويزرع الثقة في نفوس المدعويين، ويشعرهم بأن فيهم خيراً مادامت صلتهم بالله وثيقة يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ١١٠ سورة آل عمران.

فإذا أشعرهم بخيريتهم فإنه بلا شك سيوقظ همهم، ويشجعهم على الاستقامة والثبات على شريعة الله، فيضمن بحول الله التزامهم بأوامره .

وكم من مذنّب أرهقته ذنوبه، متعطش لسماح كلمة ترده عن غيه وتنبته على طريق الحق والاستقامة، فطرق باب داعية في مسجد أو غيره، راجياً أن يسمع كلمة تبدد حزنه، ووصفة تعالج عصيانه، فإذا به يسمع ما يُقَيِّطُه من رحمة الله، ويشعره بأنه أول من ستسعر بهم النار يوم القيامة _ عياداً بالله _ فخرج يجر أذيال الخيبة ورأى أنه مادام في النار _ كما أوحى له خطاب الداعية المُقَيِّط من رحمة الله _ فليستمر في معصيته، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال : " يَسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا، وَسَكِّنُوا وَلَا تَنْفَرُوا " (رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، ر.ح: 1734، ص 747).

والشريعة الإسلامية بأحكامها وتكاليفها تدعو للتيسير على المكلفين في عباداتهم ومعاملاتهم، وقد شرعت من الرخص والتسهيلات ما ييسر على العباد، وجعلت الضرورات تبيح المحظورات، ومع الحاجات ترتفع الكراهات.

ومظاهر تيسير الشريعة أكثر من أن تقع تحت حصر، فالسفر والمرض والعجز وغيرها من الأبواب المشاملة على الرخص والتسهيلات داخلية في هذا الباب، والمشاق والحرج مرفوعة عن المكلف في كل الأبواب، فتسقط عن المكلف عبادات كثيرة إن وقع تحت عارض من عوارض الأهلية، فالعاجز عن الصلاة يصلحها حسب قدرته، والعاجز عن الصوم يفطر ويقضي، وهكذا تتواءم الشريعة مع ظروف المكلفين يسراً وعسراً، وهذه ما ينبغي أن يعيه الداعية الذي يخاطب الناس بروح الشريعة الإسلامية الميسرة، مستحضراً قول الحق _تبارك وتعالى_ : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ۖ﴾ سورة البقرة

8. الحكمة قوام الخطاب الدعوي : كان الأنبياء والرسل _عليهم السلام_ خير من عمل بقول الحق _تبارك وتعالى_ : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدْلُهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ سورة النحل .

ومن الحكمة في الدعوة : استعمال الترغيب والترهيب، في الظرف المناسب وبالطريقة الملائمة، فمن الترغيب قول نوح _عليه السلام_ لقومه : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ سورة نوح.

ومن الترغيب التذكير بالنعم، فالإنسان ذو الفطرة السليمة إذا ذكّر بنعم الله عليه، ورأى تقصيره في حق المنعم استحيًا منه، ومن ذلك قول هود _عليه السلام_ : ﴿أَوْعَيْبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ سورة الأعراف .

وكذلك قول صالح _عليه السلام_ لقومه : ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَتَحَنُّونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ سورة الأعراف .

وكذلك قول شعيب _عليه السلام_ : ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُفْسِدِينَ﴾ سورة الأعراف .

9. أن يراعي الخطاب ترتيب الأولويات وتقدير المآلات : فيراعي الواقع بظروفه الزمانية والمكانية والشخصية، ويوازن بين الأمور الضرورية والحاجية والتحسينية، ويراعي الأحكام الشرعية الخمسة، ويراعي المتفق على تحريمه والمختلف فيه، وإن إغفال هذه الأمور ليؤدي إلى خلل في مقاصد وأهداف ومرامي الخطاب الدعوي في عصرنا الحالي .

10. أن يكون خطاباً مبنياً على التيسير مصطبغاً بصبغة التبشير نابذاً لكل مظاهر التعصب والتطرف، مذكراً بأن الغلو والتشدد أمر منهى عنه شرعاً، لما يؤدي إلى من مفسدات كبيرة، لعل من أبرزها حصول

النفور من الشريعة والوقوف منها موقفاً ينأى بالإنسان عن مناهل خيرها، ويتيه في ظلمات الفتن والشبهات، كما يؤدي التعصب والتطرف الذي قد يقع فيه الداعية وهو يخاطب الناس، إلى تأصيل العداوات ونشر الأحقاد بين الناس، لأن كل إنسان سيتعصب لرأيه ويتمسك بما يراه الأصح _ عن غير دليل ولا برهان _ فيقع الشقاق بين الناس، وهذا ما لا ينكر وجوده مؤخراً ذو عقل، إذ ثبت أن العداوات والخلافات بين كثير من الناس مردها التعصب للرأي الذي قد يكون صاحبه قد استقاه من كلمة داعية أو محاضرة أو درس أو ماشابه من وسائل الخطاب الدعوي .

11. استخدام الوسائل والأساليب المناسبة : فالخطاب الدعوي الناجح هو الذي يحسن صاحبه اختيار الوسائل المناسبة للدعوة، ويربط بين القديم منها والحديث، ليبدو القديم العريق متجدداً مصطبغاً بصبغة الحداثة والمعاصرة، مواكباً لمتطلبات عصر تقنية الاتصالات والمعلومات الذي نعيشه .
فمثلاً: ينبغي للداعية أن يتعلم أساسيات التقنية الحديثة ليعرض بها دعوته، ليضفي عليها تشويقاً يسهم في نجاحها وتلقي المدعو بشكل إيجابي .

ولعل تقنية العرض المرئي على سبيل المثال خير دليل على ذلك، فكثير من الدعاة في ليبيا لاحظوا الفرق في درجة تلقي المدعو، وذلك بعد أن أدخل الدعاة أسلوب العرض المرئي في دروسهم ومحاضراتهم . كما يحسن بالداعية استثمار وسائل التواصل المختلفة والتي توفرها بعض البرامج والوسائل كالتوساب والتليجرام، فيقدم دروساً عبر نقل مباشر أو حتى بوضع تسجيلات صوتية أو مرئية ليستفيد أكبر قدر من المتابعين .

ومن الوسائل التي أثبتت فاعليتها في مجال الدعوة، شبكة المعلومات (الانترنت) فينبغي للداعية ألا يغفل هذه الوسيلة الحديثة للدعوة، فيقبل على تعلم مهارات استخدامها ويوظفها التوظيف المناسب .
والمتصفح لشبكة المعلومات اليوم تبهره آلاف المواقع الالكترونية الدعوية، وآلاف الصفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، وبات لأغلب الدعاة صفحات شخصية يتواصل معها الناس في كل وقت وفي أي مكان، ودلت الأرقام العالية للمعجبين بتلك الصفحات على إقبال الناس على معرفة أمور دينهم، خاصة وأن انشغال الناس بأعمالهم ووظائفهم قلل من فرصة حضورهم دروس العلم، فإذا تابع الموظف المشغول بعمله لساعات طويلة من اليوم صفحة الداعية الذي يرغب في متابعته في وقت فراغه، فإنه يُحصِّل نتيجة قد تفوق من حضر الدرس أو المحاضرة مباشرة .

وينبغي للداعية عند استخدام شبكة المعلومات أن ينتبه لأمر منها :

أن المعلومات المسجلة على شبكة الانترنت حول الإسلام تحتاج إلى وقفة ومراجعة وتثبت، لأن بعضها يقدم معلومات تقتقر إلى الموضوعية .

ويعتبر بعض علماء الغرب قاعدة بيانات (ياهو) ومعناها بالعبرية (الله)، هي أشهر قاعدة بيانات على شبكة الانترنت عن الإسلام، ومن هنا يجب التنبيه إلى خطورة استقبال وتداول معلومات عن الإسلام قامت بإعدادها الدوائر الصهيونية والغربية .

النتائج والتوصيات

خلص هذا البحث إلى النتائج الآتية :

1. تجديد الخطاب الدعوي بما يلائم الواقع هو خير وسيلة لجعله أكثر نفعاً وأعظم طريقة للتأثير .
2. تكاثرت الفتن في عصرنا الحالي، وتلاحقت الشبهات، وبات الخطاب الدعوي أجدر بأن يهتم الدعاة بتطويره ليكون سداً منيعاً في وجه ما من شأنه أن يشكك المسلم في عقيدته أو يمس شيئاً من ثوابت شريعته.
3. مراعاة الحال والزمان والمكان ضرورة ملحة ليؤتي الخطاب الدعوي أكله، وينعكس أثراً إيجابياً على المتلقي.
4. الداعية الناجح هو الذي يسلك سبيل الدعوة متخذاً من الوسطية والاعتدال شعاراً له، والداعية الفاشل هو من يخاطب الناس بمنطق الجمود والتطرف والتعصب والتشدد، فلا يؤتي خطابه إلا شر حصاد ينعكس على المجتمع بأسره .
5. بات المسلمون اليوم في أمس الحاجة إلى الوعظ والإرشاد، وإطالة الكلام ترغيباً وترهيباً وإنذاراً وتعريفاً بحال أمة الإسلام، وما يحاك لها في العلن والخفاء من قبل الأعداء المتربصين حتى من بني جلدتنا وهؤلاء خطرهم أشد وأكبر من غيرهم .

التوصيات :

1. إقامة الدورات العلمية للدعاة، تلك الدورات التي تجعلهم ملمين بأمور الدعوة، متقنين فنونها، مقبلين عليها بشغف وحب وإخلاص نية لله تعالى.
2. تحفيز الدعاة لنهج الوسطية والاعتدال، وذم التعصب والتشدد والتطرف والتحزب.
3. الدعوة إلى الله مهمة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وينبغي ألا يقوم بها في وقتنا الحاضر إلا من كان مؤهلاً لها، لنضمن نجاح هذه المهمة العظيمة مهمة الدعوة إلى الله .
4. على الداعية أن يتلمس حاجات الناس فيخاطبهم في مواضيع تهمهم، ويترك مسائل تتعلق بحياتهم اليومية، بالإضافة إلى الخوض في المسائل التي تهم الأمة الإسلامية بشكل عام، كما هو الحال اليوم إذ ينبغي أن تصدر غزوة العزة قائمة أولويات الدعوة في الحديث عنها .

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

- * الأمدي، سيف الدين (2008م) الإحكام في أصول الأحكام، ط1، دار ابن حزم، بيروت لبنان .
- * ابن منظور، جمال الدين بن مكرم (2005م) لسان العرب، ط4، دار صادر، بيروت لبنان.
- * الأصفهاني، الحسين بن محمد (2006م) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط1، دار الفكر، بيروت لبنان .
- * الجوزية، محمد بن أبي بكر (1991م) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
- * خالد، عبد التواب مصطفى (2006م) تطوير الخطاب الدعوي، ط 2، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- * الذهبي، محمد السيد (2005م) التفسير والمفسرون، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة .
- * الزركشي، بدر الدين محمد (2007م) البحر المحيط في أصول الفقه، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

- * السيوطي، جلال الدين (1431هـ) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة .
- * الشوكاني، محمد بن علي (2000م) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ط3، دار السلام القاهرة .
- * صديق، محمد شمس الحق (2002م) الدعوة إلى الله مشكلات الحاضر وآفاق المستقبل، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا .
- * عبد الكريم، محمود (1995م) المصالح المرسله، ط1، دار النهضة، القاهرة.
- * الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (1983م) إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت لبنان.
- * الغزالي، محمد أحمد السقا (2003م)، مع الله، دار نهضة مصر، القاهرة .
- * القرضاوي، يوسف (2010م) ثقافة الداعية، ط 7، مكتبة وهبة، القاهرة .
- * القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الشام للتراث بيروت لبنان.
- * محمود، علي عبد الحليم (2012م) المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة .
- * هندي، عادل (2010م) فن التواصل الدعوي، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة .